﴿سورة الشمس﴾

وفيها أربع مسائل :

المسألة الأولى: بم أقسم الله تعالى ؟ وعلام أقسم ؟

الجواب: إن الله ﷻ أقسمفى هذه السورة بأشياء، وهى :

- ﴿**وَٱلشَّمسِ وَضُحَىٰهَا**﴾: والضحى هو ارتفاع الشمس من أول النهار .
- ﴿**وَٱلقَمَرِ إِذَا تَلَىٰهَا**﴾: أى القمر إذا تبع الشمس فى المنازل والنور .
- ﴿**وَٱلنَّهَارِ إِذَا جَلَّىٰهَا**﴾: أى النهار إذا انتشر ضوؤه فعم الأرض وكشف ما فيها .
- ﴿**وَٱلَّيلِ إِذَا يَغشَىٰهَا**﴾: أى الليل إذا غطى ظلامه وجه الأرض .
- ﴿**وَٱلسَّمَآءِ وَمَا بَنَىٰهَا**﴾: إذا كانت ما موصولة كان الله تعالى يقسم بنفسه فهو بانى السماء ، وإذا كانت ما موصولة فالقسم بالسماء وإحكامها وإتقان بُنيانها .
- ﴿**وَٱلأَرضِ وَمَا طَحَىٰهَا**﴾: أى الأرض وامتدادها واتساعها لتشمل كل الخلائق وتجرى فيها كل المنافع.
- ﴿**وَنَفس وَمَا سَوَّىٰهَا**﴾: أى النفوس التى أودعت فى الخلائق – عاقلة وغير عاقلة – وفيها سر حياتهم.

قال الصابونى: (قال المفسرون: أقسم سبحانه بسبعة أشياء (الشمس، والقمر، والليل، والنهار، والسماء، والأرض، والنفس البشرية) إظهارا لعظمة قدرته، وانفراده بالألوهية، وإشارة إلي كثرة مصالح تلك الأشياء وعظم نفعها، وأنها لابد لها من صانع ومدبر لحركاتها وسكناتها)[1].

أما المُقسَم عليه فهو قوله تعالى: ﴿**قَد أَفلَحَ مَن زَكَّىٰهَا (٩) وَقَدۡ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا(١٠)**﴾ فالله ﷻ يقسم على فلاح من طهر نفسه من دنس المعاصى

(١) صفوة التفاسير ٤٩٣/٣ .

وأخلصها لله ﷻ، وعلى خيبة وخسارة من حقر نفسه بالكفر والمعاصي وأوردها موارد الهلكة، وأصل التدسية الإخفاء والمعنى خاب من أخفى نفسه بالمعاصى ... عياذاً بك اللهم .

وذهب بعض المفسرين إلى أن جواب القسم محذوف، قال ابن عجيبة: (وجواب القسم محذوف، والتقدير: ليهلكنّ الله مَن كفر من قريش ويُدمدم عليهم كما دمدم على ثمود) [1] .

المسألة الثانية: ما الدرس العقائدى المستفاد من قوله ﷻ: ﴿فَأَلۡهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقۡوَىٰهَا (٨)﴾؟

والجواب: إن هذه الآية الكريمة من بين أدلة أهل السنة والجماعة على أن الإنسان مخير وليس مسيراً؛ أى أن الله ﷻ أعطاه حرية اختيار طريقه: إما طريق التقوى، أوطريق الفجور، ولم يجبره الله ﷻ على طريق معين ويدفعه فيه وإلا كان الإنسان مسيراً مجبراً، وفى ذلك ظلم لأصحاب النار إذ إنهم – على هذا المعتقد الفاسد – مسلوبو الإرادة، وفى ذلك اتهام لمقام الله ﷻ بالظلم، والظلم نقص، والله ﷻ منزه عن كل نقيصة .

فالآية دليل على أن الله ﷻ أوضح الطريقين لعباده، بإنزال الكتب وإرسال الرسل ومنحهم العقل الذى يعرفون به ما فيه صلاحهم وفسادهم، قال ابن عجيبة – رحمه الله –: (﴿فَأَلۡهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقۡوَىٰهَا (٨)﴾ أي: ألهمها طاعتها ومعصيتها ، وأفهمها قبح المعصية وحسن الطاعة ، أو عَرَّفها طرق الفجور والتقوى، وجعل لها قوة يصح معها اكتساب أحد الأمرين، ويحتمل أن تكون الواو بمعنى "أو" كقوله: ﴿إِنَّا هَدَيۡنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرٗا وَإِمَّا كَفُورًا (٣)﴾[2]، أي: ألهم مَن أراد شقاوتها فجورها فسعت إليه، وألهم مَن أراد سعادتها تقواها، فسعت إليه) [3].

---

(١) البحر المديد ٨ /٤٧٥ .

(٢) سورة الإنسان / الآية ٣ .

(٣) البحر المديد ٨/٤٧٥ .

المسألة الثالثة: ما المثال الذى ضربه الله تعالى فى هذه السورة لمن خاب وخسر نفسه ؟

والجواب: إنه مثل (ثمود) قوم صالح- عليه السلام – التى كذبت رسول الله وحادت عن طريقه ﴿**بِطَغۡوَىٰهَا**﴾ أى بسبب طغيانها واعتدادها بقوتها وغناها، فاتفقوا على قتل الناقة وهى آية الله ﷻ إليهم، وأسرع لهذا الفعل الدنئ ﴿**أَشۡقَىٰهَا**﴾ وهو أشقى القوم وأشدهم إجراماً، قال المفسرون: هو قُدار بن سالف قام إلى الناقة فعقرها، ولم يعتبروا بنصيحة رسولهم صالح – عليه السلام – لما قال لهم: ﴿**نَاقَةَ ٱللَّهِ**﴾ وقد جاءت ناقة منصوبة على أنها مفعول به لفعل محذوف والتقدير: اتركوا ناقة الله، قال الزجاج: (منصوب على معنى: ذروا ناقة الله) [1] ﴿**وَسُقۡيَٰهَا**﴾ شربها، أي: ذروا ناقة الله وذروا شربها من الماء فلها شرب يوم ولكم شرب يوم معلوم، لكنهم كذبوه وخالفوا أمره وعقروا الناقة، فماذا كان الجزاء ؟

قال الله تعالى: ﴿**فَدَمۡدَمَ عَلَيۡهِمۡ رَبُّهُم بِذَنۢبِهِمۡ فَسَوَّىٰهَا(١٤)**﴾ أى أنزل عليهم العذاب، قال البيضاوى: (فأطبق عليهم العذاب وهو من قبيل قولهم: "ناقة مدمومة" إذا ألبسها الشحم، ﴿**بِذَنۢبِهِمۡ**﴾ أى بسببه، ﴿**فَسَوَّىٰهَا**﴾ أى: فسوى الدمدمة بينهم أو عليهم فلم يفلت منهم صغير ولا كبير) [2]، (قال قتادة: بلغنا أن أحيمر ثمود لم يعقر الناقة حتى تابعه صغيرهم وكبيرهم، وذكرهم وأنثاهم، فلما اشترك القوم في عقرها دمدم الله عليهم بذنوبهم فسواها) [3]، وقيل لها معنى آخر وهو من التسوية أى سوى الله بهم الأرض .

المسألة الرابعة: ما المراد بقوله تعالى: ﴿وَلَا يَخَافُ عُقۡبَٰهَا (١٥)﴾ ؟

والجواب: تعددت أقوال المفسرين فى المقصود بالآية، فقال بعضهم هو الله ﷻ، وقال بعضهم: بل هو صالح – عليه السلام – وقال آخرون:

(١) تفسير البغوى ٨ / ٤٤٠ .
(٢) تفسير البيضاوى ٥ /٤٩٧.
(٣) تفسير القرآن العظيم ٤١٤/٨ .

بل هو أشقى ثمود عاقر الناقة، وعلى هذا ستتعدد المعانى مع تعدد الفاعل، فإن كان المقصود هو الله ﷻ فالمعنى أن الله ﷻ دمر ثمود وسوى بهم الأرض وهو فعل الملك الجبار المتصرف فى خلقه بما يشاء ولا يخاف ﷻ شيئاً من عواقب فعله فهو ﷻ ﴿**لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ (٢٣)**﴾[١]، وإذا كان المقصود هو صالح – عليه السلام – فيكون المعنى (ولا يخاف صالح عقبى هذا العذاب الذي ينزل بهم وذلك كالوعد لنصرته ودفع المكاره عنه لو حاول محاول أن يؤذيه لأجل ذلك)[٢] أما إن كان المقصود هو عاقر الناقة فالمعنى أنه أقدم على فعلته الشنعاء وجريمته النكراء دون مبالاة بوعيد صالح لهم ولا اكتراث بعاقبة هذا الفعل .

---

(١) سورة الأنبياء / الآية ٢٣ .
(٢) مفاتيح الغيب ، ٣١ / ١٧٨ .